

رفض اقضاء المرأة فلسفياً - تحطيم لخرافة منهجية مريحة -

د. باقر ابراهيم الزيدي
مدرس الفلسفة في كلية الاداب
جامعة واسط/العراق

"هؤلاء النساء هن لسن نساء على هامش الفلسفة، بل هن فيلسوفات على
هامش التاريخ"

ماري الين ويث
تاريخ الفيلسوفات. ج1

المقدمة

هناك افتراض شائع جدا ولوقت قريب هو: ان مشاركة المرأة في حقل الفلسفة ضئيل جدا أو معدوم، على الاقل كان هذا الفرض متداولاً بكثرة قبل القرن العشرين. على الرغم من ادراكنا ان المعايير "التاريخية" للفلسفة - حالها حال المعايير التاريخية للفن - هي معايير اعتباطية إلى حد كبير، هي معايير مصطنعة وليست معطاة لنا، ولكنها ترسخت بالممارسة الايديولوجية التي جعلتها تدعي انها متماشية مع "طبيعة" الاشياء. لذا فأنتنا نستطيع القول وبكل جرأة ان هذه المعايير متحيزة إلى حد كبير في استبعادها مشاركة المئات من النساء في كلا الميدانين.

والعمل الذي تركز عليه هذه المقالة وهو استعراض ومناقشة لكتاب باحثة امريكية جادة، يحاول ان يصحح هذا الموقف الخاطيء، والخروج من تحت وطأة هذا التقليد الثقيل والطويل، معرياً هذه المعايير من "طبيعتها" المزعومة، اي انه يقوم

— De-Naturalization - اي تجريد وتعرية الاشياء من طبيعتها المدعاة. فليس هناك ماهو طبيعي، في اي مكان فليس هناك الا ماهو تاريخي. على حد قول (رولان بارت).

وانا اتسأل انه من الغريب حقا احجامنا عن السؤال طوال دراستنا للفلسفة أو تدريسيها عن مبرر غياب المرأة من هذا التاريخ الطويل، من هذا الميدان الفكري الواسع، إلى الحد الذي اصبحت معه كلمة فيلسوفة تبدو غريبة علينا سواء في الكتابة او حتى عند سماعها.

فقد اعتدنا - او الاصح هكذا عودونا وانا هنا لادين جماعة محددة بعينها، بل إلى الممارسة - ان ننظر للفلسفة باعتبارها فعالية رجالية صرفة. وميدان لا يسمح باللعب فيه لغير الرجال. لكن الامر لم يعد كذلك الان.

اذ شهدت العقود الثلاثة الماضية أو أكثر قليلا، شهدت مراكز الثقافة العالمية انفجارا غير مسبوق في طبيعة وحجم المؤلفات الصادرة للاجابة عن هذا التساؤل. ليس في حقل الفلسفة فقط، بل وبالتوازي مع بقية حقول المعرفة مثل: التاريخ والادب، والفن، والطب. وطبعا ليس المقصود غيابها الان في عالمنا المعاصر، بل غيابها تاريخيا، بكلمة اخرى حين يتم تدوين تاريخ هذه الحقول المعرفية نجد ان هناك غيابا مريبا للمرأة عنها، واتضح لعديد الباحثين والباحثات ان المرأة غيبت من هذه التواريخ ولم تكن غائبة بشكل ارادي. وكانت الاعمال التي صدرت لمعالجة هذه المواضيع كانت بطريقة أو باخرى تنهج نهجا نقديا جذريا للتقاليد المتبعة في تدوين تواريخ هذه الدراسات.

لقد اصبحت من الطبيعي الآن ان نسأل عن سر هذا الغياب عن حقل الفلسفة - دون ان نتجاهل بقية الحقول بالطبع لكن كون الفلسفة هي ميدان اختصاصي فأن البحث سيقصر عليها - ويصبح السؤال أكثر الحاحا بالنسبة (للفيلسوفات) الان - لاحظ عزيزي القارئ كم يبدو غريبا وقع كلمة فيلسوفات لمن اعتاد ان يقرأ كلمة الفلاسفة طوال حياته فقط - اذ ان مشاركتهم الحالية في الميدان الفلسفي - وبالاخص في اوربا وامريكا - كبيرة وواسعة الامر الذي استدعى مراجعة أو اعادة تشكيل وقراءة شاملة لتاريخ الفلسفة، وكذلك مراجعة المعايير المتبعة في تدوينها.

ان (الفيلسوفات) سواء في اوربا أو امريكا مهتمات الآن أكثر من اي وقت مضى بنقد هذه المعايير الراسخة والراوحة لقرون في تصنيف طبيعة النشاط الفكري للبشر، والتي على اساسها كان يعد فكرا ما فكرا فلسفيا واخر لا. لقد احدث وجهة النظر النسوية هذه تحولا كبيرا في طرائق تفكيرنا حول الثقافة والفن والمعرفة. وقد سجلت ملاحظتين حول طبيعة هذه المعايير:

الاولى: - هي الاقصاء التاريخي الواعي للمرأة من هذا الحقل، فقد واجهت الفيلسوفات أو بالاحرى اصطدمت بالاعتقاد الرازح بانه لا توجد فيلسوفة بمعنى الكلمة، وحتى ان كانت هناك، فألها غير مهمة..

والثانية: - هو ان الفلاسفة كانوا دائما لديهم الكثير مما يقولونه عن المرأة، وما هن، وما هي طبيعتهن. ونجد المفاهيم الفلسفية مثل "العقل" و"الموضوعية" تعرف عادة كمقابل "للمادة" او في تناقض معها "واللاعقلانية" كانت دائما تعرف من خلال ارتباطها بالمرأة لاهما عاطفية وبالتالي غير قادرة بالوفاء بشرط التفلسف الاساسي وهو العقلانية والموضوعية.

ان تقاليد الفلسفة والفلاسفة كانت تخبرنا ولو بشكل ضمني بأن الفلسفة هي نشاط عقلي وموضوعي وبالتالي فانها تتضمن استبعادا لكل ماهو خاص بالمرأة أو مرتبط معها. - تذكر عزيزي القارئ المقولة الشائعة جدا في حضارتنا الاسلامية، ان المرأة ناقصة عقل - الفرق هو ان حضارتنا صكت هذه المقولة لاسباب دينية. في حين ان الحضارة الغربية بررته فلسفيا.

وكردة فعل تجاه هذا الامر فان فيلسوفات المساواة بين الجنسين كان انتقادهن ذو شقين.

الاول: ضد الاستبعاد والاقصاء التاريخي من جهة.

والثاني: ضد النظرة السلبية لشخصية المرأة السائدة طوال تاريخ الفلسفة.

انه انتقاد يرتبط بمنهج مابعد الحداثة بكل تأكيد، المنهج الذي يحاول ان يعري الاشياء - المزعومة أو المفترضة. وهو مايقودنا De-Naturalization من طبيعتها - الى رفض هذه الموضوعية المدعاة من جانب الفلاسفة في كل مؤلفاتنا واعمالنا، اذ يغدو كل ماموجود لدينا ماهو الا انشاء في انشاء، وتأويل في تأويل وتحيزات تؤطر طريقة تمثنا للعالم والاشياء ليس الا.

ومن الاصدارات المهمة في المشاركة في هذه المراجعة أو اعادة القراءة لتاريخ الفلسفة هو صدور كتاب الباحثة الامريكية (ماري ايلين ويث Mary Ellen Waithe) الضخم الذي يقع في اربعة اجزاء.

(تاريخ الفيلسوفات - A-History of women philosophers) صدر الجزء الاول منه سنة - 1987 وبالتعاون مع مجموعة من طلابها.¹

وهو بحث موسوعي ضخم ومدهش وغاية في الاهمية - وذلك حسب وصف مجلة هباشيا - Hapatia - الفلسفية حين احتفت بصدور الكتاب وقامت باستعراض اهم محتوياته، فضلا عن انها كرست العدد برمته لاشكالية المرأة والفلسفة من جوانبها المختلفة.

لانه فضلا عن شموليته وموسوعيته فانه اقتحم حقلا معرفيا لم يدرشن حينها بشكل واسع، وعد صدور هذا الكتاب مشاركة مهمة في زحزحة المقولة القارة في الازهان باعتبار الفلسفة نشاط مارسه الرجال منذ بدئها واستمر هكذا طوال تاريخها. وبعد صدور الكتاب فتح الباب واسعا لبحوث اخرى كثيرة، ومؤخرا قامت اليونسكو باصدار مجلة باللغتين الفرنسية والانكليزية بأسم "الفيلسوفات" وهي متوفرة على شبكة الانترنت. اعترافا منها بالمشاركة الفاعلة للمرأة في هذا الميدان الفكري. والحقيقية ان جل المعلومات في هذا البحث مستقاة من هذا الكتاب وخصوصا الجانب الاحصائي منه. والكتاب متوفر على شبكة الانترنت - ليس مجانا - واعيد طبعه سنة 2008.

لقد كشفت "ماري ايلين" في كتابها عن مساهمة نسائية لا يستهان بها، بل وفقا للاحصاء المقدمة في الكتاب يمكن ان نقول انها كبيرة، هذه المساهمة تم تجاهلها

1 العنوان الكامل لكتاب ماري الين باجزائه الاربعة هو:

- History of Women Philosophers: Volume I, "Ancient Women Philosophers" (published in 1987) covers- from 600 BC-to. 500 AD.
- Volume II, "Medieval, Renaissance and Enlightenment Women Philosophers" (published in 1989) covers the period from; 500-1600.
- Volume III, "Modern Women Philosophers" (published in 1991) covers the period 1600-1900,
- Volume IV, "Contemporary Women Philosophers" (published in 1995) covers from 1900- today.

عمداً من قبل مؤرخي الفلسفة أو واضعي موسوعاتها. وانا اقول مساهمة لان الكتاب احصى كل من قامت بنشاط له علاقة بالفلسفة حتى وان كان ضئيلاً، لكن المهم هو انه صادر عن امرأة.

ولكن يجب ان نتبه إلى ان العمل يفرق بين ثلاث مجموعات من النساء تفصل بينهن مسافة يجب ان تاخذ بنظر الاعتبار عند الحديث عن الموضوع وهي: (الفيلسوفات - Women Philosophers)، (فيلسوفات المساواة بين الجنسين - Feminist Philosophers) و(النسويات - Feminist).

وعمل ميري ايلين يهتم بالمجموعة الأولى، فهو لم يلتفت إلى النساء المناديات بالمساواة بين الجنسين (Feminist philosophers) ولا اللواتي كتبن الفلسفة أو غيرها من حقول المعرفة كالادب مثلاً بنعمة أثوية (Feminist) تختلف عن طريقة تناول الفلاسفة لها. بل هو يهتم باللواتي تناولن الفلسفة بنفس الطريقة والعمق التي تناولها بها الفلاسفة، فقد تعاملن مع مشكلات الفلسفة التقليدية مثل (الاخلاق) أو (الميتافيزيقا) أو (الابستمولوجيا) أو غيرها من حقول الفلسفة بنفس العمق والأحتراف. اي انها مهتمة بالفيلسوفات - Women philosopher

وترى المؤلفة كأن هناك تواطفاً من نوعاً ما حول اقضاء المساهمات التي شاركت بها المرأة في حقول الفلسفة المختلفة. بالرغم من ان كتاب تواريخ الفلسفة أو واضعي موسوعاتها ليس غريبين عن هذا الحقل بل يعرفون كل دقائقه، - أو افترض انهم يعرفون هذه الدقائق-. والسؤال هو: ان كانوا هؤلاء الكتاب متبحرين بحقل الفلسفة فلم هذا التحيز الرجولي الواضح ضد المرأة. بحيث يتم استبعادها بهذا الشكل الفاضح؟ تتسأل ميري الن.

وأود ان اذكر هنا ان الباحثة الامريكية ميري ايلين ليست مجرد باحثة طارئة تتعلق بأذيال الفلسفة، بل هي فيلسوفة محترفة فكرياً وعملاً، - واد هنا ان اذكر لمحة عن نشاطها الفلسفي وكما دونته هي في سيرة حياتها على موقعها في شبكة الانترنت. فهي حالياً استاذة كرسي الفلسفة في كلية الفنون الحرة والعلوم الاجتماعية. وايضاً مديرة الدراسات النسائية في جامعة كليفلاند الحكومية.

ودرست الفلسفة في اماكن كثيرة ومتنوعة، اي انها وسعت من افق تدريس الفلسفة ولم يقتصر نشاطها على اقسام الفلسفة فقط. بل انها درست الفلسفة حتى

في المعاهد الطبية وكليات طب الاسنان، ودرست الفلسفة لنزلاء المصحات النفسية، وتقول: انها حتى تنجح في مهمتها هذه، كان يتوجب عليها ان تعرف الكثير مما هو اساسي في هذه الحقول العلمية، لذا فالها اصبحت مهتمة كثيرا بتاريخ الطب.

تقول انها تحاول ان تزرع في طلبتها حب التساؤل والفضول وبالاخص حول الاسئلة الفلسفية الاساسية: من نحن؟ وماهي طبيعة الكون الذي نعيش فيه؟ وماهي الخصوصية التي يتمتع بها الجنس البشري في هذا الكون؟ وكيف يمكن لنا ان نقوم ونتصرف بالشكل الصحيح؟! لانها ترى ان الفلسفة هي في الاصل تاريخ للاسئلة اكثر منها تاريخ للاجابة عن هذه الاسئلة.

وتقول ماري انها عادة ماتدير درسها الفلسفي بطريقة ديمقراطية فهي لا تملئ المعلومات على طلبتها من موقع المتعلم بل المشارك لهم بذات السؤال، والباحث عن اجابة، وهي تعتقد ان هناك طريقتين لان نتج فلسفة تتسم بالحوية وتجذب اهتمام الاخرين.

الاولى: هو ان تدون افكارك كتابيا.

والثانية: هي ان توصل افكارك شفاهيا.

لذ فان طلبتي المتخوفين من الطريقة الاولى شجعتهم على اتباع الطريقة الثانية على الاقل كمرحلة ضرورية للطريقة الاولى. واصبح طلابي من الجراة والشجاعة الكافية في التعبير عن افكارهم بصوت عالي ويتشاركون فيها مع الاخرين.

عملها الاخير كان عبارة عن ترجمة لعمل فيلسوفة اسبانية عاشت في القرن السادس عشر كتبت كتابا حول الطب، وانجزت ايضا قبل فترة وجيزة بحثا حول موقع هيلواز الفلسفي بالمقابل مع ايبيلارد - كلاهما من العصر الوسيط - وكان ايبيلارد معلم هيلواس ولاحقا زوجها ثم راعيتها الديني - ساعود إلى هذه الواقعة المشهورة لاحقا - وقد استمتعت كثيرا باكتشاف وجهات نظرهم من مراسلاتهم المكتشفة مؤخرا واعمالهم المنشورة.

وسيكون عملها المستقبلي حول فيلسوفة فرنسية عاشت في القرن السابع والثامن عشر هي "اولب دي كونت"، وكانت اعمالها تدافع بقوة عن حقوق

السود في ذلك الوقت المشرع للعبودية، حقيقية اود ان اعرف لماذا؟ أنا لا أعلمُ
تأريخَ الفلسفةِ بدون ان اشير إلى مساهماتِ النساءِ وغيرِ البيضِ في هذا التاريخ.¹
- لكنها بخلاف الاخرين أو مما هو شائع في الدرس الفلسفي التقليدي حيث
يتم التركيز على الشخصيات المعروفة في هذا التاريخ، فإن المؤلفة تتحرك علي
حافات التاريخ المغيب للفلسفة ان صح التعبير، التاريخ المهمش. فهي لا تكتثر
للتاريخ (الرسمي) سواء الذي دونه الفلاسفه عن اعمالهم ونشاطاتهم، والذي تفوح
منه في الغالب رائحة السيطره والكبرياء والادعائات المتحيزه، أو الذي كتبه
المتخصصين من كتاب تواريخ الفلسفة أو واضعي الموسوعات والمعاجم المتخصصة.
إنها تذهب إلى الهوامش من هذا التاريخ إلى المسكوت عنه والذي لم يدونه
التاريخ الرسمي. فبحث ايلين يحاول ان يعيد صياغة المعايير من جديد او على الاقل
محاولة تنقيحها، المعايير التي على اساسها كان يعد مفكراً ما فيلسوفا محترفاً،
وبالتالي يسمح له بالدخول إلى حضيرة الفلاسفة المحترفين.

وهذا العمل متميز بتفرده لأنه لم يسبق لأي من الحركات الفلسفية المعاصرة
أن التفتت إلى هذا الأمر، أو أنه على الأقل كان أحد مشاغلها.

وحتى ما بعد الحداثة كانت تسير في ذات الاتجاه "الذكوري" والذي لم يعد
موجودا الان - كما اعتقد - وذلك بتأثير الحركات النسوية التي حولت الحس
المابعد حدائي بالاختلاف إلى حس جذري وجردت طبيعة الفصل بين الخاص
والعام في الكتابة التاريخية وبين الشخصي والسياسي. ومع ذلك ظلت هناك مقاومة
مهمة لاي مطابقة ما بين المابعد حدائي والنسوي.²

فقد كانت المعايير "المفتعلة" تتيح لمؤرخي الفلسفة عملية انتقاء اعتبارية
للفلاسفة من بين مجموعة كبيرة من المفكرين وبالتالي اعتبارية من يحظى منهم
باللقب الملجلل (فيلسوف). فيصبح من العبث البحث في هذه الأعمال عن أسماء
نسائية.

1 المعلومات السابقة عن المؤلفة مأخوذة من موقع كلية الفنون الحرة والعلوم الاجتماعية وهو:
CSU Faculty Profile. E:/detail.cfm.htm

2 ليندا هتشيون، سياسة ما بعد الحداثة، ت، حيدر حاج اسماعيل، المنظمة العربية للترجمة
ط1. بيروت 2009، ص 279.

لكن عمل ميري ايلين يكشف بشكل جذري عن حضور النساء طوال تاريخ الفلسفة، ليحطم بذلك عبودية الأستبعاد والاقصاء التي كانت تروج لمقولة ان الفلسفة كانت وما زالت تتضمن بعدآ يجعلها حكرا على الرجال فقط.

اذ انما تقوم بعملية (تجريد - De- Doxification) وتعرية المزاعم المتأصلة في تدوين تاريخ الفلسفة، والمصطلح - Doxy - يعني ان هناك عقائد ثابتة وجامدة أو "طبيعية" لايمكن تغييرها فأذا اضفنا اليه السابقة -De- فانه يعني اننا سنقوم بتعرية ونقد هذه العقائد ونجريدها من "طبيعتها" المزعومة لتبدو لنا في النهاية امامنا بأنها ليست سوى ايدولوجيات من صنع البشر حول البشر¹

ان المابعد حدثي يكون تدخله عاملا حاسما في تعرية هذه المعتقدات الراسخة، لانها في المقام الاخير عبارة عن شكل من اشكال السرد وقد تجمدت بالممارسة الايدولوجية، وبالتالي فأنها ربما تشكل واحدة من السرديات الكبرى - grand narrative - التي يعمل الفكر المابعد حدثي على تفكيكها.

واتضح للباحثات ان سر هذ النظرة المتحيزة التي سادت طوال تاريخ الفلسفة الغربية هي بالاساس ترجع إلى ما قوله ارسطو من اراء حول المرأة اصبحت هي المرجع طوال هذا التاريخ مثلما كانت بقية ارائه.

فقد وضع ارسطو نظرية فلسفية حول المرأة تستمد دعائمها الاساسية من الميتافيزيقا، ثم يطبقها في ميدان البيولوجيا، والسياسة والاخلاق. ان الصورة التي رسمها ارسطو عن المرأة بالغة الاهمية وذات اثر هائل فقد ترسبت في اعماق الثقافة الغربية، واصبحت هي الهادي والمرشد عن النساء في الثقافة الغربية بصفة عامة.²

ان فلسفة ارسطو مبنية على عدد من المبادئ الميتافيزيقية التي لايجيد عنها في كل مؤلفاته منها هيراركية (تراتبية) الكون وكل مافيه من موجودات من الادنى إلى الاعلى، والصورة والمادة، والوظيفة. فاذا كانت الهيراركية سائدة في الكون اجمع

1 المصدر نفسه، ص 17-18.

2 Susan G. Woman from the Greeks to the French revolution. p. 17 والنص مأخوذ من كتاب امام عبد الفتاح امام، ارسطو والمرأة، ص 7، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الاولى. 1996.

فانه من الطبيعي ان تسود في الموجودات البشرية ايضا، فلا بد ان تكون هناك مراتب وموجودات يعلو بعضها بعضا على نحو ما هو قائم في الكون تماما. ان جميع الموجودات هي في خدمة الانسان لانه اعلاها لانه يتربع على قمة التسلسل الهرمي للموجودات تحت فلك القمر.

ان الطبيعة هي التي رتبت الامور على هذا النحو، وهي التي حددت لكل موجود وظيفته التي يخدم بها الموجود الاعلى، وهكذا كانت النساء "بالطبيعة" ادنى من الرجال وكانت وظيفتها خدمة الرجال، ولهذا كان من الطبيعي ان يحكمهن الرجال، وكل هذه الامور تجري وفقا للطبيعة، وليست بالعبادات، والعرف، والتقاليد. وحتى ان كانت هذه الاوضاع نتاج للعبادات فانها مع تكرارها تتحول إلى طبيعة. ومن هنا كانت معارضة ارسطو العنيفة للسوفسطائية التي ذهبت إلى ان جميع الاوضاع الاجتماعية ومنها القيم الاخلاقية، انما هي وليدة العرف والتقاليد.¹ ان دونية المرأة هي صدى لافكار ارسطو الميتافيزيقية عن الهيراركية والوظيفة، والصورة والمادة، فالمرأة هي "هيولى" فهي لا تقدم في عملية الانجاب سوى المادة الخام في حين ان الرجل هو الذي يعطي الصورة التي تبعث الحياة في هذه المادة. وحين يكون المولود انثى فان هذا انحراف في الطبيعة، ان المرأة هي رجل غير مكتمل انما "تشوه خلقي".²

ويسخر رسل من راي ارسطو: ان المرأة ناقصة عقل لان اسنانها اقل من اسنان الرجل. ويقول: ان ارسطو بالرغم من انه تزوج مرتين فانه لم يتحشم عناء البحث في فم احدى زوجاته ليتأكد من ذلك.

لقد قدمت اراء ارسطو ونصوصه حول المرأة مبررا قويا لفيلسوفات المساواة بين الجنسين في الهجوم عليه، وعلى كل التراث الذي تبعه، لكن هذا لم يعفي في نظرهن من سبقه وبالاخص افلاطون لانه يضع المرأة في بعض محاوراته في مرتبة ادنى وخصوصا محاورة "طيمائوس" والقوانين على الرغم من معلمه ومثله الاعلى في الفلسفة "سقراط" كان للنساء دورا في تعليمة وابعترافه هو.

1 امام عبد الفتاح امام، ارسطو والمرأة، ص 29.

2 برتراند رسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ج1، ت: زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1978 ط3. ص 264

وحتى "كانت" لم يسلم من هجومهن بل ايضا رأن في كتاباته تحيزا وتمييزا واضحا بشقية، الجنسي، والعنصري تجاه النساء.¹

والحقيقة اني لاجد الامر غريبا من أن الأساطير القديمه كانت دائما تقرن المعرفة والحكمة بالمرأة، وفي ذات الوقت تحط من مكانتها بشكل سافر. فنحن نجد مثلا في تراثنا السومري بأن المرأة هي التي تعرف الاسرار، فقد تجاهل كلكامش تحذير (سيدوري) صاحبة الحانه من عبور بحر الموت طلبا للخلود. فقد كانت (سيدوري) تعرف السر وقد كشفته امام جلجامش، الا انه كان مصرا على اتمام رحلته فلم تسقه سيدوري من خمرها وهي صاحبة الحانه، لذا فشل جلجامش في نيل الخلود.²

وعلى عكس كلكامش كان صديقه (انكيديو) وهو مخلوق من قطعة صلصال، عملته الاله بيدها، ورمته في السهوب، لا يعرف شعبا ولا وطنا، يقضم العشب مع الغزلان (برفقة قطيعه كان يرتاد المياه، ومع الحيوانات كان يرتوي)، إلا أن الغانية (شمخات) هي التي تجعله يعرف السر، وذلك بعد ان جامعها لستة ايام وسبع ليال فتفتح عقله وصار صاحب ذكاء، واخيرا قالت له الغانية انت عاقل يا انكيديو غدوت مثل اله.³

ويمكن تجميع شظايا كثيره من الاساطير ومن مختلف الحضارات تبدو فيها المرأة، مصدرا للحكمة، وحاملة اسرار المعرفة الصحيحة؛ ففي تراثنا الديني الاسلامي هناك اشارة إلى المرأة التي غلبت الملكين هاروت وماروت، فملك معرفة السر الاعظم، فصعدت به إلى السماء، وتحولت إلى كوكب الزهره. وهناك الكاهنات في فضاء الجاهلية قبل الاسلام. حتى نصل إلى قمة الرمز المعرفي (حواء) التي هي اول من اكل من شجرة المعرفة المحرمه، فعرفت السر، سر الخلود الذي حولت به ادم إلى الانسانيه. ان عملية المعرفة في الاساطير القديمه كانت تتم دائما عبر المراة.

1 انظر موقع - Stanford Encyclopedia of Philosophy على الانترنت، مادة، Feminist History.

2 ديوان الاساطير - سومر واكاد واشور، ترجمة قاسم الشواف، دار الساقى، بيروت - ط 1 الجزء الرابع، ص 389-

3 ديوان الاساطير 428-281-4

ولا يمكن ان نتجاهل رمزية ان يكون لمعبد دلفى في اليونان القديمة كاهنة، وهي التي ذهب اليها سقراط فقالت له الكلمه الشهيره (اعرف نفسك). لكن هذه الرمزية لم تتحول إلى انصاف للمشاركة الفعلية للمرأة في ميدان الفلسفة.

لذا فان المعلومات والوثائق التي قدمتها ماري في كتابها، تتضمن الكثير من الحقائق والأرقام ألمدهشه، حيث تخبرنا انه كانت هناك (16) فيلسوفة على الأقل في العالم اليوناني والروماني القديم، وفي المقدمة تاتي فيلسوفات المدرسة الفيثاغورية في القرن الخامس قبل الميلاد، مثل(ارغونت - Arignote) (ثيانو - Theano) وهي زوجة فيثاغورس التي حاولت تفسير عبارة فيثاغورس "العالم عدد ونغم" وقالت بتناغم الأدوار وخلودها. وعرفت أيضاً الفيلسوفتين ابنتيهما (دامو، Damo) التي درست طبيعة العدد والهارمونية أو العلاقات والنسب والرياضية بين الأشياء. و(Myia التي حاولت تطبيق الهارموني الفيثاغوري الكوني، في عالم الأسرة وتربية الطفل، وقالت بضرورة مراعاة الوسط في تربية الطفل، ولخصت بذلك تصور الاعتدال أو الوسط، وقد استبقت فكرة ارسطو الشهيرة في ميدان الأخلاق المسماة (بالوسط الذهبي). وتشير الباحثة إلى ان هناك احتمال ان تكون واحدة من نساء المدرسة الفيثاغورية المتأخرات وهي (برستوني - prictione) ربما تكون ام افلاطون. وقد كتبت ماري معلقة في المقدمة: اذ نحن اقتصرنا على النساء في المدرسة الفيثاغورية، فأنا لن نجد غير اختلافات ضئيلة جدا في طريقة تناولهن للفلسفة عن رفاقهن في نفس المدرسة. فقد كان كلاهما يبحثون في الاخلاق، والميتافزيقا، والفلك، ونظرية المعرفة، وغيرها من ميادين البحث الفلسفي. فيصبح التجاهل والاقصاء مسألة ليست بريئة على الاطلاق.

لكن كم هي شحيحة المعلومات حول هؤلاء النسوة. المتاتي اصلا من الغموض الذي يحيط المدرسة الفيثاغورية كموضوع اشكالي في الفلسفة اليونانية. اذ من المعروف ان فيثاغورس لم يدون بنفسه شيئا من افكاره، ولما كام اتباعه قد نسبوا اليه افكارهم الخاصة، على سبيل الولاء، فأن نسبة الافكار أو تقييمها بالنسبة لهؤلاء النسوة، هو من الصعوبة بمكان. وكدليل عرضي على التجاهل من قبل واضعي الموسوعات الفلسفية، فأن موسوعة الفلسفة الصادرة باللغة الانكليزية بعشرة اجزاء لم تشر اليهن اطلاقا في مادتها حول فيثاغورس.

ومن أشهر فيلسوفات اليونان القديم التي عرفت برفضها لوضع النساء في ذلك المجتمع (اسبازيا) التي توفيت عام 140 ق. م. وكانت قد افتتحت مدرسة لتعليم الفلسفة والخطابة - فهي التي علمت سقراط البلاغة والخطابة - وشجعت بجرأة عظيمة خروج النساء من عزلتهن وحصولهن على تربية عالية؛ والتحققت بمدربتها كثير من فتيات الطبقة العليا، وكان يحضر محاضراتها فلاسفة من بينهم بركليز وسقراط، وأن بيتها كان منتدى للشخصيات الكبيرة في أثينا، وإن سقراط قال: بأنها هي التي علمته فن البيان، وقد أهتم بعدم تعظيم آلهة اليونان وقدمت للمحكمة التي برأها بعد دفاع بركليز المجيد عنها، في حين لم ينجو سقراط. وعادة ماتقدم (اسبازيا) باعتبارها هي من كتبت خطاب الرثاء في مأتم بركليز وهو مذكور افلاطون في محاوره (مينيكينوس) - وهي من محاورات الكهولة التي تعالج موضوع الخطابة والبيان وتعد (ديوتيماتا) وهي أيضا من معلمات سقراط من أشهر فيلسوفات اليونان، وقد ذكرت في محاورات افلاطون السقراطية. عاشت حوالي عام 400 ق. م.، وقد ذكرت في محاوره (المأدبة) على لسان سقراط، والدور الذي لعبته في درء خطر الطاعون عن أثينا، كما جاء على لسانه في تلك المحاوره "من أجل هذا يا ديوتيماتا سعيت إليك فأنا في حاجة إلى معلم"، كما اشتهرت بفلسفتها في الحب، وذكرها كلمنت السكندري في مؤلفاته.¹

وهناك فيلسوفة يونانية شهيرة هي (هيبارشيا - Hipparachia) المولودة سنة 346 ق. م. من عائلة ارسقراطية والتي عرفت بفضولها المعرفي وضيقتها بالاعمال التقليدية المنوطة بالمرأة في المجتمع اليوناني القديم، وكان فضولها نحو الفلسفة اتى من ان لها أخ كان يدرس فلسفة ارسطو في اللوقيون وكان معلمه هو ثيوفراطس وكان هذا المراهق الصغير غير سعيد بوجوده في اللوقيون، لذا فقد انتقل للدراسة مع "الكليبين" وبالاحص مع "كريتوس" وكانت اخته مواكبة له طوال دراسته، ومن هنا نشأ تعلقها بالفلسفة، ومن المعروف عن "الكليبين" برمهم بالتفكير النظري، وانهم فقط ينشدون السلوك الذي يفضي إلى أكبر قدر من السعادة، ولم تكتفي هباشيا بالاعجاب بفلسفة الكليبين، بل انها وقعت في غرام معلم اخيها "كريتوس" بالرغم

من انه كان رجلا عجوزا، وسيء السمعة. لكنها بالرغم من ذلك تزوجته واصبحت ترافقه علنا، ضاربة عرض الحائط بكل اعتراضات عائلتها. محاولة الافكار إلى سلوك عملي من خلال تحديها للثقافة والسياسية اليونانية التي كانت سائدة ويمكن ان نصف سلوكها بالثورية انطلاقا من هذه الجراً، وقد دخلت في مناظرة مع "نيودورس" وهو احد معلمي الفلسفة في ذلك الوقت وتغلبت عليه ولم تكن خجلة من دفاعها عن سلوكها وافكارها، واحتقارها للوضع التقليدي للمرأة الاثينية.¹

أما في الفترة من 500-1600م وهي الفترة التي تشمل العصر الوسيط وبداية عصر النهضة، فتحصي ماري في كتابها (17) فيلسوفة، فمن فيلسوفات العصر الوسيط، (جوليا): فيلسوفت سوريا.

عاشت (جوليا دونا 170-217م) أو جوليا الفيلسوفة كما يطلق عليها مؤرخو القرن الثالث الميلادي في سوريا وتحديدا في مدينة "حمص" وهي تنحدر من عائلة دينية عالية المقام، تعبد الشمس؛ لكنها أصبحت زوجة لامبراطور روما (سفيروس سنة -193م) وكانت تشاركته في إدارة الدولة. أنشأت جوليا حلقة ثقافية ضمت فلاسفة من مدارس مختلفة، لكنها لم تعرف من هذه الناحية بل عرفت عند المؤرخين باعتبارها الامبراطورة اذ كانت صورتها تسك على العملة الرومانية. لكن حقيقة انها اعادت للفلسفة حضورها السابقة بعد ان نكل نيرون بالفلاسفة، وكان اهتمامها منصباً على الرياضيات والفلاسفة والفيثاغورين والتنجيم، الذي اخبرها انها ستتزوج ملكا وهذا ماكان.

وحين تحولت الامبراطورية الرومانية إلى المسيحية، سادت ثقافة المساواة إلى حد ما، اذ نجد ان جميع المصادر في المسيحية المبكرة تتحدث عن ان المرأة مساوية للرجل روحيا فلذا فيس مفاجئا لنا ان تتسهم المرأة في هذه الفترة مناصب قيادية أو انخراطها في التعليم أو الادارة حالها حال الرجال. وبرزت في الفترة من 330-389م اثنتين من النساء كامثلة اساسية لهذه الثقافة عرفن بذات الاسم هو (ماكرينا - Macrina) لكن يجب التمييز بينهما اذ الاولى هي الجدة وتسمى ماكرينا الكبرى Elder والثانية هي ماكرينا الصغرى - younger وهي حفيدتها.

Ranft, Patricia. A Woman's Way. New work. 1994. p. 26 1

والعائلة معروفة في التاريخ المسيحي باعتبارها عائلة قديسين. فقد كان هناك ستة قديسين في هذه العائلة. وعرفت الاولى منهن بتعليمها الممتاز واستشاراتها السديدة، لكن لم يصلنا شيء من كتاباتها الفلسفية، وكل ما نعرفه عنها اتنا عن طريق مادونه احد احفادها عنها، ويخبرنا هذا الحفيد انها كتبت فلسفتها على شكل محاورات ومن أشهر محاوراتها محاوره (النفس والقيامة)، ونادت بالمساواة بين الرجل والمرأة قائلة: "جوهر النفس هو قدرتها على التفكير العقلي ولا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة.."، وقد دافعت كغيرها من فلاسفة العصر الوسيط المسيحيين عن نظرية البعث والقيامة، وعرفت بالزهد والتنسك.¹

لذا فانها تعد اليوم في الكنيسة المسيحية كراعية للارامل وشفيعه للفقراء، وهناك عيد باسمها في شهر 12 من كل سنة.

اما (هيباشيا-Hypatia) فيلسوفة الإسكندرية التي ولدت عام 370م، وكان ابوها محبا للفلسفة ومديرا لمتحف الاسكندرية. وأدرجت في دائرة المعارف البريطانية باعتبارها فيلسوفة مصرية. اشتهرت كعالمة في مجال الرياضيات، وعينت في المتحف برغم اختلاف دينها عن الدين الرسمي للدولة فهي يونانية الديانة- اي وثنية، والدولة مسيحية وكانت هذه الفترة شهدت توترا بين المسيحية والديانات اليونانية والرومانية القديمة لكنها حظيت باحترام الجميع نظرا للاقبال الكبير الذي كانت تشهده محاضراتها لما تتمتع به من مهارة في التبسيط، ولو ان هذا الامر لم يستمر طويلا. كانت تدرس وتلقي محاضرات عن مذهب أفلاطون وأرسطو واصبحت رأس مدرسة الافلاطونية الجديدة في الاسكندرية، مما جلب لها معاداة رجال الكنيسة بدعوى نشر أفكار ضد المسيحية. وفي مارس 540م اعترض طريقها مجموعة من رهبان المتعصبين واخرجوها من عربتها وجروها إلى كنيسة قيصر، ثم حيث قام الرهبان بتجريدتها من ملابسها وتقدم احد الرهبان بذبحها عارية، ثم قامت مجموعة أخرى من الرهبان بتقطيع جسدها العاري إلى أشلاء وكشطوا اللحم عن العظم، ثم اخذوا اعضائها المقطعة واحرقوها عند شارع سينارون في الاسكندرية.²

MARY ELLEN, AHISTORY ---, VOL. 11, PP. 121-30 1

2 زكي نجيب محمود، في مفترق الطرق، ص 58، دار الشروق، 1995

ونعود مرة اخرى إلى (هيلواز) عاشقة الفلسفة وعاشقة معلمها في ذات الوقت الفيلسوف "ابيلارد"، فقد كانت هناك قصة حب صاحبة بينهما اذ كلف بتعليمها الفلسفة، لكنه وقع في غرامها واقنعها بالفرار معه من الدير، وقبض عليه اخوتها فيما بعد والقي به في السجن بعد ان اخصوه فكتب وهو في السجن (تاريخ نكباتي) لكنه تزوجها في النهاية، وقد قامت ماري الين بتحقيق واصدار الرسائل المتبادله بين هذين الفيلسوفين العاشقين وهي رسائل لم تعرف من قبل. اما في الفترة من 1900 - 1600 وهي الفتره التي يغطيها الجزء الثالث من كتابها فان ماري الين تشير إلى وجود اكثر من ثلاثين فيلسوفه.

أما في القرن العشرين فقد تبين أنه من بين (14) فيلسوفا معترفاً بهم كفلاسفة محترفين وذلك وفقاً للمعايير المتداولة للتصنيف عند مؤرخي الفلسفة، توجد ثلاث فيلسوفات يصعب علينا ان ننكر أنهن على درجة كافية من الاحتراف. وهن كل من (ماري ولستون كرافت)، (وحنه آرت)، (وسيمون دي بوفوار). لكن قولنا انهن محترفات لا يعني ان يتم ادراجهن ببساطة في كتب تاريخ الفلسفة أو في المقررات الدراسية في اقسام الفلسفة في الجامعات المختلفة وينتهي الموضوع، بل هي دعوة إلى المساواة بين الجنسين في الفلسفة والالتفات إلى المسكوت عنه في هذا التاريخ.

ولبيان مدى التحيز والتسلط الرجولي على الفلسفة أو لنقل بكلمة أوضح الانحياز الرجولي نذكر إن الموسوعة الفلسفية التي صدرت عام 6719 في خمس مجلدات كبيرة وتضم عشرة أجزاء، تضم ما يقارب 900 مدخل عن الفلاسفة، فانه لا توجد مقالة واحدة من بين هذه المقالات من تناولت أيّاً من الفيلسوفات الثلاث المشار اليهن قبل قليل، بل ان فهرست أعلام الموسوعة لا يتضمن أي اشارة سواء إلى سيمون دي بوفوار، أو ولستون كرافت في كل اجزاء الموسوعة باستثناء اشارة صغيرة إلى حنة آرت في مقالة تناولت مفهوم السلطة وهو الميدان الذي برعت فيه آرت.¹

1 الموسوعة المقصوده هي: The Encyclopedia of philosophy- Macmillan company, New York, 1967. لكن الموسوعة تداركت هذا الخلل في طبعتها الثانية التي صدرت سنة 2006 - اذ اشارت في الدعاية الاعلانية لها والمنشورة على موقع الموسوعة الالكتروني إلى ان الطبعة الجديدة تتضمن مقالة عن مشاركة المرأة في الفلسفة وتتفرع من هذه المقالة عشرة مقالات فرعية.

وقد لاحظت احدى الباحثات ان الفيلسوفات المشار اليهن اعلاه وهن الاكثر حضا في قبولهن في نادي الفلاسفة المحترفين. لا يمتلكن رؤية مؤحدة تجاه هذا الموضوع، فقد كانت حنة آرنت تشكل موضوعا استفزازيا بالنسبة للمناديات بالمساواة بين الجنسين وذلك لانها كانت تنتقد هذه الحركة اصلا، بينما ولستون كرافت وبوفوار منخرطات فعليا في هذه الحركة. فقد كانت ولستون كرافت تدافع عن تعليم المرأة متخذة مبادئ عصر التنوير كمرجعية لها. في حين كانت بوفوار في كتابها (الجنس الثاني) تعكس جذورها الماركسية والوجودية.¹

وإذا ما تجاوزنا معايير واضعي الموسوعة والتفتنا إلى المراجع التي تهتم بتاريخ الوجودية أو الفلسفة السياسية مثلا، لرأينا انه غالبا ما يتم ادراجهن على استحياء وأحيانا بصورة هامشية.²

لذا فان هذا العمل لا يدعو إلى المساواة بين الجنسين في الفلسفة فقط، بل ويدعو إلى تغيير المعايير المتبعة في تدوين تاريخ الفلسفة جذريا. انه تصحيح لموقف خاطيء يتداول بشكل "طبيعي" في الاوساط الاكاديمية.

انه عمل أصيل حقاً، حيث أسس وبقوة لمقولة حضور النساء في الفلسفة بالرغم من الاقصاء الروتيني والمتعمد لهن من قبل مؤرخي الفلسفة وواضعي موسوعاتها، لانه ان كان يبدد وهما جميعاً عن تاريخ الفلسفة، فانه وبالدرجة ذاتها يبدد وهم الفلسفة عن نفسها بأنها فعالية رجالية محضة، وأنه لا حضور للمرأة فيها، ولاحقاً في المواقع الخلفية، بدعوى إن المرأة لا تكثرث للسعي في طلب الحقيقة، لانها لاتستطيع ان تمتلك ناصية "الموضوعية" والرجال وحدهم هم محبو الحكمة "والموضوعيون جدا". وهذا تصور فضلا عن انه خاطيء تماماً فإنه مؤذ وجارح خصوصاً بالنسبة إلى اللواتي يطمحن ان يكن فيلسوفات.

1 Honig Bonnie. Feminist Interpretations of Hannah Arendt, the Pennsylvania state University Press. 1995. p. 57.

2 كتاب جون ماكوري (الوجودية) الذي ترجمه امام عبد الفتاح امام والذي يؤرخ للوجودية بالتفصيل فيما يقارب 500 صفحة، لم يشر إلى سيمون دي بوفوار ولو لمره واحده. بالرغم من انه كتب في ذروة نشاط سيمون الفكري في الستينات. صدر الكتاب في طبعته العربية في سلسلة عالم المعرفة الكويتية سنة 1983.

يا ترى لو قمنا نحن العرب بمثل ما قامت به ميري ايلين من التفتيش في تاريخنا ومخطوطاتنا، فهل نعثر على (فيلسوفات) أو (فقيهات) أو (مؤرخات) تم نفيهن واقصائهن عمداً، لتبقى فقط الصورة النمطية، الطافحه من الغالبية العظمى من كتب تراثنا الا وهي الصورة التي تدعمها الكثير من الراء التي تؤدي إلى تكريس دونية المرأة في المجتمع الاسلامي. الا وهي صورة القيان، والحواري والمحظيات. ناقصات العقل.